حورية المؤيد وزهرة هبة الله.. رائدتا الحركة النسوية في اليمن

□.. الكتابة عن نشأة الحركة النسوية في اليمن وتطورها، حتى وصولها إلى ما وصلت إليه في زمننا الحاضر، من الصعوبة بمكان، وذلك لأسباب عديدة، أهمها : قلة المصادر والمراجع التي تتكلم عن فترة نشأة الحركة النسوية في القرن العشرين، هذا أولاً، ثانياً : الحركات النسوية التي كانت تخرج، سواءً في شمال الوطن أو جنوبه، كانت في أغلبها تخرج تحت عباءة جهود فردية، ولم يكن هناك تنظيم يجمع تلك الحركات التي كانت تظهر سريعاً وتختفي سريعاً، لعدم ثبوتها على قاعدة صلبة، إذاً فالحديث عن حركة نسوية سيكون عن قياديات ورائدات أسسن هذه الحركة النسوية، وهنا سنتحدث عن رائدتين نسائيتين، الأولى من الشمال، والأخرى من الجنوب، وهما تمثلان رمزاً لتطور الحركة النسوية في اليمن.

كتب/كمال بن محمد الريامي

زهرة هبة الله .. مناضلة رائدة (١٩٤٦ - ١٩٨٦م)

زهرة هبة الله علي، سياسية، مناضلة، تربوية، ولدت بمدينة «كريتر»، محافظة عدن، في ١٨ يناير ١٩٤٦م، نشأت في كنف والدها المناضل هبة الله علي، وعلى يديه رضعت الأبجديات الأولى في حب «اليمن»، وتأثرت بأفكاره ونضاله وأخلاقياته، وعن ذلك تقول – بعد أن أدركته الوفاة في ٢٥ مايو ١٩٧٣م – : «الشيخ هبة الله علي، ما أجمله وأروعه من اسم، كان مثالاً للكد والكفاح الدائم، كان عنواناً لكل معاني السمو والتواضع والشجاعة اللامتناهية، كان أبي الإنسان الذي منحته كل تقديري واحترامي وحبي الكبير، وتعلمت منه كيف أتحدى الصعاب وكيف أجابه الآلام بصمت وشجاعة، وكيف أتغلب عليها بهدوء وصلابة، كانت لديه مقدرة غريبة على كبت انفعالاته الحادة مهما كان طابعها، تلك القدرة بعينها ساعدته على تحمل مشاق الحياة منذ أن كان طفلاً يافعاً يتيماً يبحث عن مأوى، إلى أن أصبح فتى يافعاً لا يحصل إلا على القليل القليل مقابل عرقه طوال الليل مع النهار لدى الشيخ الإقطاعي البطريركي الذي حرمه من كل شيء حتى من حقه في التعليم».

وعن طريق والدها وأفكاره النيرة أشتاقت للوحدة باكراً – بين شطري اليمن سابقاً – وذلك حين رأت والدها ينضم إلى حركة الأحرار اليمنيين المناهضة للحكم الإمامي ويبذل كل ما في وسعه لمساندة هؤلاء الأحرار، ومن يومها عرفت أن اليمن كبير ولا يجوز أن يعيش مشطراً، ولو مد عمرها ورأت قيام الوحدة اليمانية لسُرت كثيراً، ولأرسلت عتابها لكل من يحاول المساس بالوحدة أو التنقيص من عظمة هذا المنجز الخالد بإذن الله.

في بحار العلوم

وبعد هذه الجرع الوطنية دفعها والدها «هبة الله» لتلقي العلم، فالتحقت بداية بمدرسة ابتدائية، بعد ذلك التحقت بمدرسة «سانت جوزيف»، والمعروفة – أيضاً – بمدرسة البادري، وكانت هذه المدرسة إحدى المدارس القلائل إبان العهد الاستعماري البريطاني، والتي كانت تمنح شهادة أقل من مستوى الثانوية العامة، وإلى جانب تفوقها الدراسي في هذه المدرسة تعلمت فيها «الاختزال والضرب على الآلة الكاتبة»، ودرست اللغة الجزراتية، وإن لم تستخدمها، وفي هذه المدرسة أجادت اللغة الإنجليزية، إلى جانب لغتها العربية، وبعد تخرجها من هذه المدرسة بفترة وجيزة انتسبت لمدرسة ثانوية، لتحصل على الشهادة الثانوية وحصلت عليها، وكانت الثانية من بين العشرة الأوائل في الشطر الجنوبي – سابقاً – ومن جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الفلسفة، حصلت على شهادة البكالوريوس في الفلسفة سنة ١٩٧٦م، وكانت تنوي مواصلة دراستها العليا إلاّ أن ظروفاً حالت دون تحقيق هذا الطموح.

مرحلة الكفاح والنضال

بدأ نشاط «زهرة هبة الله» السياسي والنضالي في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، الماضي، وعن ذلك تحدثنا المناضلة عائدة علي سعيد، فتقول : «زهرة هي نعم الصديقة والرفيقة التي جلجل صوتها عالياً في المسيرات والمظاهرات النسائية، يهتف بسقوط الاستعمار، شريط الذكريات يزدحم بالصور التي تتلاحق، معرفتي بها مع أوائل الخمسينيات، دخولنا معترك النشاط السياسي والاجتماعي في سن مبكرة، إلى جمعية المرأة العربية، واتخاذنا مواقف واحدة لمواجهة الآراء والطروحات التي أرادت عزل المرأة اليمنية عن النضال من أجل قضيتها الوطنية في مواجهة الاستعمار وأعوانه من السلاطين والرجعيين، وكذا الاشتراك الفعال في الانتفاضات الطلابية التي شهدتها عدن عام ١٩٦٢م، أثناء الدراسة الإعدادية والثانوية افترقنا عن بعض، فهي واصلت دراستها في مدرسة القديس جوزيف بكريتر، (مدرسة البادري)، وتابعت دراستي في كلية البنات، وكان هذا الفراق بداية اللقاء عند تشكيل التنظيم النسائي التابع للجبهة القومية في عام ١٩٦٤م لوضع أسس النشاط النسائي للمرأة اليمنية، جنباً إلى جنب مع مختلف فئات شعبنا في إطار النضال العام الذي قادته الجبهة القومية مع اندلاع ثورة الرابع عشر من أكتوبر الخالدة عام ١٩٦٣م ن جبال ردفان الشماء».

ويكمن نشاطها النضالي في الآتي : توزيع البيانات والمنشورات المحرضة على الوجود البريطاني، نقل الرسائل والأسلحة والذخائر بين أفراد المقاومة الوطنية، توعية النساء بأدوارهن المختلفة في مواجهة الاستعمار وجمع التبرعات، الوقوف ضد الرجعيين، والخروج في المظاهرات والمسيرات المنددة بالاستعمار، وكان لـ «زهرة هبة الله» والمناضلات : نجوى مكاوي، نجيبة محمد عبدالله، عايدة علي سعيد، فطوم الدالي، فتحية باسنيد، أنيسة الصائغ، دعرة لعضب، دور طلائعي في النضال والحركة النسوية في عدن إبان الاستعمار البريطاني وبعد التحرير.

النشاط السياسي والحزبي

بعد انضمام زهرة هبة الله إلى الجبهة القومية سنة ١٩٦٤م وبروز دورها القيادي، عُرفت باسمها الحركي «نعمة»، واتضحت معالم اتجاهاتها السياسية بعد التحرير، وبالتحديد سنة ١٩٧٩م، حين تقدمت بطلب عضوية الحزب الاشتراكي، وتم قبول عضويتها، وقبلها سنة ١٩٧٨م تم انتخابها في المؤتمر العام الثاني لنساء اليمن عضوة للمجلس المركزي للاتحاد، وفي ٨ مارس ١٩٨١م أعيد انتخابها عضوة في المجلس المركزي للاتحاد، وفي سنة ١٩٨٣م انتخبت عضوة بمجلس الشعب المحلي بمحافظة عدن في الدورة الانتخابية الثالثة، وكانت من أبرز أعضائه المؤثرين في الساحة السياسية آنذاك.

النضال التربوي

في ١٣ يناير ١٩٦٦م التحقت «زهرة» بالعمل في إدارة الهجرة، ولم تجد نفسها في هذا العمل، فاتجهت للتدريس سنة ١٩٧١م، وعن ذلك يحدثنا الأستاذ سلطان أحمد عمر، فيقول : «كانت زهرة هبة الله في عملها كمدرسة، ثم كمديرة لعدة مدارس إعدادية وثانوية، مثالاً في تجسيد الانضباط الإداري والتقيد باللوائح الإدارية، وكانت صارمة في مواجهة الموقف السلبي من العمل، وفي مواجهة التسيب والإهمال، كما أنها تصرفت بمسؤولية كاملة في الحرص على الممتلكات العامة، وفي المدارس التي عملت بها كمدرسة أو كمديرة أو في اللقاءات التربوية تعمل من وحي قناعاتها بضرورة إنشاء جيل يمني جديد وجاد متشبع بالروح الوطنية اليمنية».

الاستقرار الأسري

في بدايات عام ١٩٦٧م تعرف المناضل سلطان أحمد عمر على السيدة زهرة هبة الله، فأعجب بها وبروحها الوثابة المتألقة وتزوج بها، وأثمر زواجهما خمسة من الأبناء هم : علاء، سامي، ندى، أمل، شذى.. وعن حياتها داخل الأُسرة يقول زوجها سلطان : «في المنزل كانت تُشيع روح الحب والدفئ والحنان وروح التفاهم داخل الأُسرة الواحدة المتماسكة التي يجمعها الوعي المشترك لبناء أُسرة تقدمية يمنية يوحدها الوعي وتجمعها روح الإخلاص للأسرة الكبيرة التي تمتد لتشمل الوطن اليمني كله».

التوق إلى الوحدة اليمنية

كانت زهرة هبة الله من التواقات إلى الوحدة بين شطري اليمن آنذاك وبعد حركة ٢٠ مارس عام ١٩٦٨م، السياسية، قرت مع زوجها إلى اليمن الشمالي – سابقاً – وفي صنعاء ساهمت في نضال الحركة الوطنية والتقدمية، ومثلت المرأة في الشطر الشمالي سابقاً في العديد من المؤتمرات واللقاءات والندوات العربية والدولية وخاصة التي نظمها الاتحاد الدولي للعمال العرب واتحاد النساء، وكذلك خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٧١ – ١٩٧٩م، مثلت المرأة في صنعاء في العديد من الفعاليات النسائية.

شهادات

يقول عنها سعيد المريسي : «إن زهرة هبة الله لن تغيب عن أفكارنا وستظل مناراً لجميع المناضلين الشرفاء والمناضلات من نساء بلادنا، إن زهرة التي تحدت الاستعمار البريطاني إبان حرب التحرير وتحدت جنوده ووقفت في جموع الشعوب خطيبة في مسجد الميدان بكريتر عدن وخطبت شامخة باسم الثورة، بينما كان جنود الاحتلال يُحاصرون المسجد وظلت تخطب وتتحدث غير آبهة بهم حتى أنهت خطبتها الثورية، مثل هذه لم تمت أعمالها لم تمت أنوارها المضيئة».

وأما أحمد محمد قعطبي فيقول عنها : «عرفتها مناضلة جريئة ذات ثقافة عالية وتصميم عال على الكفاح من أجل القضية الوطنية وتحسين وضع المرأة في بلادنا».

وأثنى عليها عليها الأستاذ عمر الجاوي فقال : «منذ سنوات عديدة تعرفت إلى المناضلة زهرة هبة الله في صنعاء قبيل رحيل الانجليز من عدن كانت تلك معرفة طفيفة ولكنها ذات شأن في التعرف على طراز جديد من النساء المناضلات اليمنيات، كانت رصينة ذات شخصية فذة ومثيلاتها قليلات في بلادنا»..

وحين تنامي إلى سمع المناضل الراحل جار الله عمر رحيل المناضلة زهرة هبة الله سنة ١٩٨٦م، قال: «لقد كانت الفقيدة مناضلة بارزة في صفوف الحركة الوطنية والنسائية اليمنية منذ أمد بعيد وأسهمت بقسطٍ وافر في النضال على صعيد الوطن شماله وجنوبه ولا زالت بصماتها واضحة وستظل كذلك في قلوب كل المناضلين اليمنيين كما في صفحات التاريخ مثل كل المناضلين من النساء والرجال الذين قضوا نحبهم وفي أيديهم راية الكفاح في سبيل حرية الوطن وتقدمه وإعادة وحدته، لقد كانت بوصفها امرأة مثقفة وتقدمية تُدرك معاناة المرأة وما تتعرض له من قمع واضطهاد مركب، تناضل من أجل انعتاقها ،ولكنها كمناضلة في سبيل التغيير الاجتماعي تميزت عن العديد من النسوة المثقفات برؤيتها العلمية العميقة لقضية المرأة على اعتبارها قضية المجتمع بأسره وتحريرها مرتبط بتحريره من نير العبودية والاستغلال الطبقي وسائر صنوف القهر».

آثارها

لها مجموعة من المقالات في مجالات مختلفة إلى جانب مشروع كتاب عن تاريخ نضال المرأة اليمنية وحركتها النسوية، لكن المنية أدركتها ولم تُنجز منه سوى صفحات قليلة وآخر ما كتبته رسالة بعثتها من بريطانيا لأبنائها الخمسة وهي رسالة مؤثرة وفيها نصائح وتوجيهات.

وفاتها

قبل وفاتها حصلت على وسام الإخلاص في يوليو ١٩٨٤م، وفي العاشر من سبتمبر ١٩٨٥م، منحت وسام الآداب والفنون وكُرمت بميدالية مناضلي حرب التحرير، وبعد صراع طويل مع مرض السرطان استمر لسنوات، وبعد رحلة عمر قصيرة في الحياة لم تجاوز الأربعين سنة وفي أحد مستشفيات العاصمة البريطانية «لندن» انتقلت إلى رحمة الله في ٨ يناير ١٩٨٦م، السيدة المناضلة زهرة هبة الله علي بعد مشوار حياة، وإن كان قصيراً إلا أنه كان حافلاً بالكثير من التميز والعطاء.

ورثاها القرشي عبدالرحيم سلام قائلاً:

يا زهر
يا روض النقاء
رحلت حين تعبت من أحزاننا
أدماك يا زهر الأسى
وامتصك الوجع الممض.. المر.. آه بلى
بلى حتى الحمام
يا زهر..
سامقة سقطت
وكانت باسقة المواقف
نخلة يا زهر في سفر العطاء
ونحلة أعطت قضيتها الحياة
وكنتها كل التمام
هذا النشيج غناء من عرفوك شامخة
ونهر دموعنا المذداق سال
لتسكني خفق القلوب أميرة الأحزان
لا تاجٌ لديك ولا إماء
كلا .. فهل يكفي البكاء.. عزاؤنا
يا أنت من قاومت رمحاً
صلبه أدمى الحمام
يا زهرة ضاعت ليحيا الشعب
حتى لا يُضام..
وقبل ميعاد الوداع تودعينا
يا زهر
ألف تحية منا
فنامي هامة أسمى من المريخ
نامي وردة عبقت
فانتجمي دماناً.. واسكني الوجدان
تاريخاً وذكرى
يا زهر
عذراً إن مسحت على يديك دمي
دموعي..
وانشغلت عن الوداع
فعبُ هذ الحزن غطاني
وإنساني زماني والمكان
يا زهر ألف تحية مني
وألفاً من أنيسة
من صفية والسلام.

حورية المؤيد- رائدة الحركة النسوية في صنعاء (١٩٤٥ - ١٩٩٨م)

حورية عباس عبدالله المؤيد، رائدة يمانية كبيرة، وناشطة اجتماعية بارزة، ومن مؤسسات الحركة النسوية في اليمن أواخر الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين الماضي..

ولدت قبل قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر بثمان عشرة سنة في مدينة صنعاء، وبالتحديد سنة ١٩٤٥م، ونشأت في أُسرة غنية عُرفت بالعلم والتدين، فوالدها عباس المؤيد كان عاملاً للإمام «يحيى» بمدينة الجوف، وأخوها العلامة حمود عباس المؤيد – نائب المفتي سابقاً – وسُرعان ما عانت من اليتم فقد توفيت والدتها وهي لم تكمل الثلاثة الأشهر الأولى بعد مولدها – وأما والدها فقد مات ولم تكن قد بلغت السابعة من عُمرها وقد تعرض والدها وجميع أفراد أُسرتها للإقامة الجبرية في «المنزل» بسبب سخط الإمام علي والدها واستمر هذا السُخط الإمامي حتى بعد وفاة والدها العامل «عباس» فاضطرت للهروب من هذا الوضع المأساوي مع أخويها «إسماعيل وعبدالوهاب» إلى عدن، ومن عدن فُروا على ظهر باخرة خاصة بالحيوانات إلى بور سعيد في مصر.

وفي القاهرة أتمت تعليمها النظامي، ثم حصلت على منحة دراسية مع ابن شقيقها إلى «تشيكو سلوفاكيا» وأنهت دراسة البكالوريوس في مجال التربية ثم عادت إلى اليمن سنة ١٩٦٨م.

تأسيس النواة الأولى لاتحاد نساء اليمن

● وبعد عودتها إلى اليمن، باشرت نشاطاتها الاجتماعية، وخاضت حروباً شعواء مع دُعاة الجهل والتخلف، ودعت إلى تعليم المرأة وإكسابها مهارات متنوعة، وأدركت منذ الوهلة الأولى لعودتها إلى البلاد، اليمن لا يُمكن لها أن تتطور، ما دامت النساء في غياهب الجهل والمرض والفقر، فكانت هذه (الأفكار) البناءة لحورية المؤيد، صدمة عنيفة (لدُعاة الانغلاق والتحجر على المرأة) وسعوا إلى التحذير من حورية المؤيد ومن أفكارها اليسارية – حسب زعمهم – بل وصل الأمر إلى خُطباء المساجد، وإلى أماكن التفاريط النسائية التي امتلأت بالكلام على حورية المؤيد (الخارجة عن التقاليد) – حسب رأيهم –، وكل ذنبها أنها دعت إلى تعليم المرأة وتحريرها من عبودية الجهل والمرض والتخلف والفقر.

وفي ١٩٦٩/١١/٧م، تأسست جمعية المرأة اليمنية، كنواة أولى لاتحاد نساء اليمن، الذي خرج من تحت عباءة الجمعية، وتُحقق هدف (حورية المؤيد) في تأسيس هذه الجمعية، وكان من أهداف هذه الجمعية كما تقول حورية المؤيد: محاربة الجهل في صفوف النساء ورفع مستواهن الاجتماعي والتربوي وتوحيد صفوفهن، ومحو ما ترسب في عقولهن من آثار العهد (الإمامي) البائد، وتشجيعهن على العمل الشريف الذي يحميهن من الانزلاق.

وعن بعض الصعوبات التي لاقتها حورية عند إنشائها لهذه الجمعية قالت:

وبدأت الجمعية نشاطها ومحاضراتها لتوعية المرأة اليمنية، بمدرسة بلقيس للبنات وكان علينا أن نتحمل عملاً شاقاً ومُتعباً وبدأنا الاتصالات الجادة بالمسؤولين على منح الجمعية مقراً حكومياً، ولكن دون جدوى، وبدأت الجمعية تُلاقي بعض الصعوبات حتى بلغ الأمر إلى إغلاق مدرسة بلقيس أمامنا، ولما اتضح لبعض الشخصيات المعروفة أن الجمعية تدعو المرأة إلى تغيير حياتها وخروجها إلى مجال العمل أخذوا يحاربونها سراً وعلانية وحطموا كل الجهد الذي قُمنا به.

وتضيف قائلة: وحدث ما يعلم به الجميع من الخُطب في الجوامع، في صنعاء والحديدة، وبدأت الدعايات حتى في التفاريط.

وبعد مرور عامين لتأسيس هذه الجمعية وبالتحديد، نهاية سنة ١٩٧١م، أقدم متطرفون على إقفال الجمعية وقاموا بكسر الأبواب وإخراج آلات الخياطة وقذف كل محتويات الجمعية للشارع، وتجمد نشاط الجمعية، وأُصيبت هذه الحركة النسوية التي قادتها حورية المؤيد في مقتل، وبعد عام من إقفال جمعية المؤيد، أنشأت الرائدة ليلى الوادعي سنة ١٩٧٣م مع أُخريات جمعية نهضة المرأة اليمنية، ولاقت ما لاقته الجمعية الأولى من متاعب وأُقفلت سنة ١٩٧٥م.

وقد كانت التشكيلة الإدارية لجمعية المرأة اليمنية كالتالي:
أم الشهيد عبدالله اللقيه (كرام الخولاني) رئيسة
حورية المؤيد – نائبة
فطوم عبده – أمينة الصندوق
حليمه اللقيه – نائبة أمينة الصندوق
رؤوفه حسن – رئيسة اللجنة الثقافية
غاليه محمد عبده – سكرتير الجمعية
صباح الإرياني – مراقبه عامة.

وقد بلغ عدد المنتسبات للجمهية (٣٠٠) امرأة، أغلبهن من العاملات في مصنع الغزل والنسيج والإذاعة وفتيات المدارس.

وعن حركة (حورية المؤيد) النسوية يقول الأستاذ والأديب البكير/ عبدالله البردوني:(وفي عام ١٩٦٩م تزايدت أعداد الخريجات والمثقفات ، فأصبحت المديريات لمدارس البنات من اليمنيات، بديلاً عن الرجال وعن المعارات من الخارج.. في ذلك العام بدأ نضج تفكير المرأة، وحاولت طلائعهن تأسيس اتحاد نسائي ، فشكلت «حورية المؤيد» و «فتحية الجرافي» و «فتحية النظاري» أول اتحاد ، ولأن تلك الفترة كانت عهد التزواج بين الثورة واللاثورة، وعهد التصالح بين المنقرض والقابل للانقراض ، ارتطمت فكرة الاتحاد النسائي بنقيض نسائي، فكانت عاتكة الشامي تمثل الموقف المعارض للاتحاد الجديد، أو موقف الداعي إلى اتحاد من لون الفترة التراجعية كانعكاس طبيعي ليمنية السلطة ويسارية الشعب ، أفرزت هذه التداخلا ت ما يمكن أن يصنف: يميناً ويساراً في عالم المرأة.. برغم أن القياديات الثلاث ينتسبن إلى الطبقات الوسطى القريبة من العليا ، إلا أن التخلخل مدة عشرة أعوام قطع أكثر الجذور الطبقية وعلق أعلاها بذيول الريح.

ومهما تصارعت تلك القيادات النسائية فإنها لم تخمد فكرة قيام اتحاد نسائي ، بل أدت إلى قيام اتحادات سرية وشبه علنية، رغم المضايقة المصوبة على الجناح الشعبي.

وفي منتصف السبعينات دعت ليلى الوادعي إلى اتحاد تحت اسم «جمعية نهضة المرأة» لتقليل خوف اسم الاتحاد ، فتشكلت من ذلك الحين جمعية المرأة بدون عبارة نهضة أو اتحاد ، ولعل في إزالة الصفة ما يعطي الجمعية هوية أكثر قبولاً .. حاولت حورية المؤيد مجدداً سنة ١٩٧٧م فتح هذه الجمعية في ذمار إلا أن محاولتها باءت بالفشل ولاقت مالاقته في المرة الأولى.

محو أمية النساء

ودعت الأستاذة الراحلة/ حورية المؤيد إلى محو أمية النساء، وطبقت ذلك عملياً، ومن خلال تأسيس أول مشروع لمحو أمية المرأة في مدرسة ابن الأمير الصنعاني (بصنعاء القديمة) سنة ١٩٧١م ، وعملت مديرة لمدرسة بلقيس للبنات ، وكانت الدكتورة وهيبة فارع وكيلة لها.

العلاقة مع البردوني

كونت الراحلة حورية المؤيد علاقة وصداقة ثقافية وطيدة مع الشاعر الكبير/ عبدالله البردوني ، واستغلت هذه العلاقة في الترويج لحقوق المرأة ، فدفعته لكتابة أغنية بعنوان (لتنطلق بنت اليمن) وغناها الشلالي الكوكباني .. وساعدته في الاستقرار الأسري من خلال تزوجيه بصديقتها فتحية الجرافي.

نشاطات متنوعة

وأشرفت «حورية المؤيد» على البرامج الإذاعية بإذاعة صنعاء الموجهة للمرأة بهدف توعية النساء وتثقيفهن ، وشاركت في حرب السبعين يوماً من خلال مداوة الجرحى، وفي سنة ١٩٧٠م أقامت أول عرض نسائي عسكري إلى جانب العرض العسكري للرجال، كتعبير منها على فرحة المرأة اليمنية بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر.

الرحلة الأخيرة

وبعد كفاح مرير ، ومعاناة متجمعية وأسرية انتقلت «حورية المؤيد» إلى جوار ربها في ٢٥ رمضان ١٤١٨هـ المصادف لـ٢٣/ يناير/١٩٩٨م.

وبحسب وصف صديقتها الحزينة على فراقها الدكتورة وهيبه فارع: «فقد كانت حورية المؤيد، امرأة سابقة لزمنها وعصرها رحمها الله تعالى» وقد رثتها صديقتها الشاعرة الراحلة آمال الشامي بقصيدة مؤثرة جاء فيها:

بالشوق حورية نبضت
عروقها وقضت ومضت
الدمع في أعين البطلات
نور تلألأ في الظلمات
سارت على درب خالقها
ترسل أحلامها ومضات
سعت إلى السلم تنشده
فوجهت نحوها الطعنات
كم خيب الحقد مسعاها
وحط في دربها العثرات
هل هذه الموتة الأولى؟
كم قتلوا حلمها مرات.

زبائنهن رجال أعمال ومسؤولون وطلاب و«شقات» ..

نواعم يبعن القات !!

تحقيق/عادل عبده بشر

■.. لا يزال العمل في بيع القات محصوراً على الرجال لأسباب عدة منها: الازدحام الشديد الذي يحدث في أسواق القات بين الزبائن وجميعهم من الرجال، وصعوبة مهنة «المقاوتة» وما تتطلبه من جهد كبير في الخروج إلى مزارع القات لشراء أغصانه وتحميلها فوق السيارات وجلبها إلى أسواق المدينة وبيعها وعمليات الشد والجذب مع الزبائن و... و... إلخ، وكلها مهام مرتبطة بجنس «الذكور» وخصوصاً في مجتمع لا يزال معظمه يرفض خروج المرأة من منزلها للعمل في مجالات نسائية بعيدة عن الرجال، فما بالك بالعمل في مهن ذكورية.

غير أن الظروف القاسية أجبرت عدداً من النساء إلى الخروج من المنزل وكسر الحظر المفروض على بعض المهن الذكورية وممارسة تلك الأعمال فأثبتن جدارتهن وتفوقن على الكثير من الرجال وحققن شهرة كبيرة.. وفي نفس الوقت حافظن على أسرهن وأبنائهن من التفكك والضياع.

«الأسرة» في هذا التحقيق تستعرض تجربة نساء اخترقن أسوار أسواق القات وأثبتن أن المرأة لا تقل جدارة عن الرجل.

عجوز شميلة

● في سوق شميلة بأمانة العاصمة إذا سألت أي شخص عن «العجوز» فسيدلك على امرأة تفترش الأرض في إحدى زوايا السوق وأمامها أكياس كثيرة مليئة بـ «القات» وحولها الزبائن من كل لون.. كل يبحث عن «تخزينته» وأصواتهم تتعالى «يا عجوز خارجيني أنا مستعجل» و«يا عجوز اليوم ضروري تعوضيني بدل أمس» وهكذا.

طيبتها وحسن تعاملها مع الزبائن جعلها تكسب الكثير من موالعة القات، وسهل لها مهمة البيع والشراء.. حيث تقول: «هذه المهنة – بيع القات – طيبة ومريحة والناس يتعاملون معي معاملة طيبة فينادونني بالعجوز.. وما أعرفش أني اختلفت مع أحد سواء الزبون أو المقوت.. وهناك مقاوتة تعلموا هذه المهنة على يدي وهم اليوم من أكبر المقاوتة في السوق».

قصة كفاح

● قبل نحو ٢٨ عاماً كانت أم أحمد «العجوز» أمام خيارين إما أن تموت هي وأولادها جوعاً أو أن تطرق أبواب الناس طلباً لكسرة خبز تسد بها أفواهاً جائعة، ولكنها لم ترضخ لأي من تلك الخيارات.. وفضلت الاعتماد على نفسها في كسب العيش من عرق الجبين: «أقسط الله على جهالي بدل ما يموتوا جوع وأفضل من دقدقة الأبواب والشحت في الشوارع»، كما تقول.

وتضيف «العجوز» قائلة: «في ذلك الوقت ما كان بش معانا ذي نأكل ولا معانا من يشقي علينا.. لأن أولادي كانوا صغار..»، وتحكي أم أحمد قصة كفاحها من أجل لقمة العيش قائلة: كنا في بني مطر وكانت حالتنا مجعجعة وبلادنا ما تزرع غير الشعير.. وزوجي سار يتعسكر وأنا تغربت في بني حشيش أنا وجهالي وجلسنا هناك حوالي ثمان سنوات.

كانت أم أحمد تعمل في «قطف» العنب مع الرعية طوال السنوات الثمان ثم انتقلت بعدها إلى صنعاء، واشترت أرضاً بمساحة (٦ لبن) بنت عليها منزلاً متواضعاً.

وكونها تنتمي لأسرة تمارس بيع القات فقد اختارت أم أحمد هذه المهنة وكان سوق شميلة بأمانة العاصمة بداية الطريق لهذا العمل.

الاعتماد على النفس

● تخرج «العجوز» فجر كل يوم إلى منطقة همدان لشراء القات من المزارعين، حيث تقول: أروح بنفسي كل يوم إلى همدان ومعانا رعية معروفين أتعامل معهم مباشرة.. وما أركنش على أحد.. لأنه ما أحد ينفع أحد هذه الأيام.

وتضيف بلهجتها «أنا ما اشتريش بفلوس.. الرعية يعطوني علاقيات قات بسعر ألف ريال للعلاقية الواحدة وأنا أقوم ببيعها بربح ٢٠٠ – ٤٠٠ ريال وفي اليوم الثاني أحاسب الرعوي وآخذ منه قات ثاني.

وتؤكد العجوز أنها لم تتعرض لأي مضايقات من منافسيها المقاوتة أو أي أشخاص آخرين، فتقول: «من سطى أبوه يقول شيء أو يصلّح شيء، وطول هذه المدة وأنا في هذه الشغلة من البيت إلى السوق ومن السوق إلى البيت..» أكثر من عارضها بداية الأمر أهلها لدرجة أنهم أعلنوا مقاطعتها ولكنها استطاعت اقناعهم تقول: «طلبت من أهلي مال وبيت عندهم وأنا انتقل أنا وزوجي وجهالي إلى عندهم في البلاد.. لكنهم طلبوا مني أترك زوجي وارجع إلى عندهم رفضت وقلت لهم ما أنا إلا بعد زوجي».

نجاح

لدى العجوز ثمانية أبناء ٢ ذكور و ٦ إناث هي مسئولة عنهم منذ مولدهم ،واستطاعت أن تربيهم أحسن تربية ،بفضل عملها في بيع القات الذي تؤكد بأنها لن تترك مهنتها هذه مهما حدث وتقول سأكافح حتى أزوج آخر بناتي مضيفة في استطلاع أجريناه معها في وقت سابق كانت حالتنا متدهورة وضعيفة... أما اليوم نحمد الله ونشكره فأنا من بنى البيت العالي وأثثته من شقا جبيني ولا معي حد في مكتب الطيران ولا الحكومة ولا عقيد ركن... وانفق على أولادي وبناتي بسخاء مما أكسبه من بيع القات».

البائعة الشهيرة

بائعة قات أخرى اسمها فوزية هي أيضاً أجبرتها الظروف على النزول إلى السوق ومزاحمة الرجال في مهنة بيع القات لدرجة أنها أصبحت أشهر بائعة قات في صنعاء.

تبلغ فوزية من العمر نحو ٥٠ عاماً وهي من مواليد الحبشة ولديها من الأبناء أربعة أحدهم مصاب بمرض نفسي عجز الأطباء عن معالجته في اليمن فلم تجد غير السفر به إلى الخارج للعلاج وهو الابن الوحيد لديها من الذكور وبقية الأبناء إناث.. تقول فوزية أن لها أكثر من عشرين عاماً وهي تعمل في بيع القات.. فتذهب منذ ساعات الصباح الأولى إلى مزارع القات خارج أمانة العاصمة " ضلاع الحتارش ،همدان بيت قطينة" لشراء القات مثلها مثل المقاوته من الرجال ،ثم تعود قبيل الظهر لبيعه في سوق القات.

وحول نظرة بعض الناس القاصرة حول عمل المرأة وخصوصاً في بيع القات تقول فوزية: «لا يهمني ذلك.. المهم عندي أني أطلب الله بشرف وأكسب رزقي ورزق أولادي من هذا العمل الشريف».

زبائن على مستوى عال

إذا كنت من زائري سوق عنقاد بمنطقة التحرير ستجد فوزية تجلس بداخل صندقة مصنوعة من الحديد وحولها أكياس القات أشكال وألوان بحسب طلبات الزبائن وكل علاقي بقيمته حد قولها فتقوم فوزية ببيع القات في سوق عنقاد حتى وقت المغرب ثم تأخذ ما تبقى لديها من علاقيات مليئة بالقات وتنتقل إلى شارع المطاعم القريب من ميدان التحرير وتبقى هناك حتى تبيع ما تبقى لديها من قات..

ومن خلال عملها في بيع القات استطاعت فوزية أن تكسب الكثير من الزبائن الذين يأتون إليها يومياً لشراء القات بما فيهم زبائن "على مستوى عال" حد قولها فيهم تجار ومسئولون وزبائن آخرين.

عمل إجباري

في مدخل سوق القات المجاور لجولة عمران بأمانة العاصمة تجلس إحدى الفتيات ليس للتسول والشحت من زبائن السوق كما يحدث في كثير من الأسواق.. وإنما لبيع القات وكسب الرزق من عرق الجبين..

هذه البائعة ليست مشهورة كسابقاتها لذلك تجدها تنادي على كل شخص يدخل السوق قائلة" تشتي قات ياعم" فالبعض يستجيب لندائها ويشتري منها ومعظم هؤلاء من الباحثين عن القات" الرخيص" والكثيرون يتجاهلونها وهؤلاء هم أصحاب الجيوب " المليانه" من يطلبون قات" درجة أولى".

بدورنا كان لا بد لنا من شراء القات منها ،حتى نستطيع الحديث معها والتعرف على تجربتها في هذا العمل... فرفضت في البداية التحدث إلينا ولكنها تفهمت الأمر عندما أخبرناها بأننا صحفيون ولدينا تحقيق حول بائعات القات.. فقبلت بالحديث شريطة عدم ذكر اسمها.

القات بدلاً من الطب

تقول الفتاة أن هذا العمل ليس ما تطلبه أو ما كانت تحلم به ولكنها أجبرت على ممارسته بعد وفاة والدها حتى تستطيع اعالة اسرتها المكونة من أم وأربع بنات هي أكبرهن بالإضافة إلى طفل في الخامسة من العمر.

وتضيف الفتاة قائلة: «والدي كان يعمل في بيع القات ،يعني مقوت على قدر حاله وكان يكسب يوم ألف ويوم الفين ويوم ثلاثة ويوم يبيع القات بخسارة... وقبل سنتين حصل له حادث مروري وهو راجع من أرحب حيث كان يشتري القات ومات في الحادث ،وما بش معانا حد يصرف علينا غيره حتى أعمامي تركونا وحدنا بعد وفاة والدي وما كان به حل إلا أن أترك الدراسة وأسير أبيع قات وإلا متنا من الجوع».

كانت الفتاة في نهاية المرحلة الثانوية حينما رحل والدها ،فلم تستطع الفتاة إكمال دراستها وتركت فصول المدرسة لتتجه إلى أرضية سوق القات.. واستبدلت علاقيات القات بالدفاتر والأقلام..

وحول هذا تتحدث الفتاة والحرقة والألم كانت ظاهرة على عيونها وتقول" كنت أحلم بأن أكون طبيبة في المستقبل.. ولكن القدر أرادني أن أكون " مقوته" ومع ذلك فأنا مرتاحة وراضية عن نصيبنا وعن هذا العمل لأنه لولاه لكنا قد تبهذلنا بين الناس وإلا متنا من الجوع وبالذات أنا، وكلنا بنات ،ولكن إن شاء الله احقق طموحي من خلال أخواتي الصغار وأقف إلى جانبهن حتى يكملن الدراسة بشهادات عليا".

مستورين

لا تستطيع هذه البائعة الذهاب إلى مزارع القات خارج صنعاء لشراء القات من الرعية كما يفعل جميع المقاوته.... وذلك خوفاً على سمعتها من كلام بعض الناس كونها لازالت شابة ،وحتى لا تكون عرضة لأية مضايقات .. لذلك فهي تتعامل مع أحد المقاوتة ،كان صديقاً لوالدها... فتسلمه نهاية كل يوم حصيلة مبيعاتها من القات ليحضر لها في اليوم التالي مجموعة من العلاقيات المليئة بالقات وهي تأتمن على هذا الشخص أكثر من غيره.. حد قولها.

وتؤكد الفتاة أن بيع القات فيه مكاسب كبيرة ولكن عند أصحاب " رأس المال" حيث تقول" أنا لا أشتغل أو أكسب مثل بقية المقاوتة.. لأن الناس يشتوا قات درجة أولى وهذا يحتاج ضمار «رأسمال» وأنا مابش معي "ضمار" أقدر أشتري به قات عال مثل البقية وأكسب مثلهم.. بس الحمد لله أحنا مستورين بفضل هذا العمل مشيرة إلى أن أكثر زبائنها هم من الطلاب وعمال البناء "وشقاة".

في الختام

هؤلاء النساء لسن سوى أنموذجاً رائعاً لأخريات يعملن في مجالات